من شعراء القرى

أميّة بن ابي الصلت الثقفيّ

ـ ٦٢٤ م ؟

بقلم بطرس البستاني

الطائف وبنو ثقيف

ليس في شعر أميّة واخباره المتفرقة ما يلقي نورًا على ولادته ونشأته . وانما نعلم أنه من اهل الطائف من بني ثقيف ؛ وانه حذق القراءة، واطلع على الكتب الدينية عند النصارى واليهود . والطائف بلدة في الحجاز على مسيرة يوم واحد للطالع من مكة الى جنوبها الشرقي ، في بطن جبل مجاور لليمن ، يقال له غزوان ، شمالية يجد فيها الماء ، وليس مكان غيرها بالحجاز يجد الماء فيه . ولما سور حصين يردّ الغزاة عنها ، سمّي الطائف لطوافه بها ، فحملت اسمه بدلًا من وَجّ اسمها القديم .

وكان معظم سكانها من بني ثقيف ، قبيلة يختلف النسّابون في أصلها ، فيرفعها بعضهم الى مضر وغيرهم الى إياد . وينكر آخرون نسبتها في العدنانية ، فيجعلونها من بقية ثمود من العرب البائدة . والاقوال في ذلك كثيرة متضاربة ، متأثرة على الغالب بعوامل دينية وسياسية لما عُرف عن هذه القبيلة من أخبار في الجاهلية والاسلام لا تتلاءم وشواعر المسلمين . فهم يروون ان صاحب الفيل أبرهة الحبشي ، عندما بلغ الطائف بجيشه يريد الكعبة ليهدمها ، خاف بنو ثقيف على ربّتهم اللات ، فصرفوه عنها بالحسنى ، وبعثوا معه رجلًا منهم يدعى أبا رغال ليدله على مكة ، فمات هذا الرجل في الطريق . قيل مرّ النبي بقبره ، فامر برجمه فرجمته العرب ، فكان ذلك سنة في الاسلام[1] ! ولم تكن ثقيف أقل غلظة على محمد من قريش ، فانه ذهب بعد موت عمه ابي طالب الى

١) الاغاني : ٤ — ٢٠٢

الطائف ينتمس النصرة منهم . فعرضوا له سفهاءهم وعبيدهم ، فاخذوا يسبونه ويصيحون به حتى اخرجوه من بينهم ولبثت ثقيف محالفة لقريش ، تقاوم الاسلام ولا ترضى ان تتزل عن دينها ، وتأسف كما يأسف القرشيون ألا يكون قد نُزِّلَ القرآن على رجل من القريتين عظيم . ويريدون به الوليد بن المغيرة بمكة ، او عروة بن مسعود الثقفي بالطائف . وهي الى ذلك ممتنعة بحصونها لا ينال الحصار منها ، فلم تُسلِم الا في السنة التاسعة للهجرة بعدما فُتحت مكة واسلم من حولها العرب ، فخافت ان يتألبوا عليها ، فآثرت ان تنتحل الدين الجديد ، ولكنها اشترطت على النبي ألا تحطم اربابها بأيديها .

وعرفت ثقيف بالذكاء والدهاء ومضاء العزم وجرأة النفس وانطلاقها . واخرجت للعرب طائفة من رجال الفكر والادب والسياسة ، فمنهم شاعرنا أمية ، والحارث بن كلدة طبيب العرب ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد ابن ابيه ، وهو من الطائف تقفي النشأة والروح ، ان لم يكن ثقفي النسب ، وابنه عُبيد الله ، والمختار بن عُبيد صاحب الدعوة والثورة ، والحجاج بن يوسف ، وابو محجن الشاعر الكبير الماجن . وفيهم اربعة من كبار رجال الدولة الاموية ناهضوا اهل البيت النبوي ، واخلصوا الخدمة للعرش السوري ، وأيدوه بسيفهم ولسانهم . فالمغيرة هو الذي اشار على معاوية بان يجعل يزيد وليًا لعهده ، وزياد انشق عن حزب علي بعدما استلحقه معاوية ، وانضمّ اليه فساق له العرب بعصاه . وعبيد الله قاتل الحسين بن علي في كربلاء ، والحجّاج بن يوسف هادم الكعبة بالمنجنيق ، وقاتل عبد الله بن الزبير ، يجور على اهل البيت ، ويختم ايدي جماعة من الصحابة بالرصاص ، ويوطئ المنابر للامويين بعد نبزها عنهم . فغير عجيب ان تكون ثقيف عرضة لسخط السياسة الهاشمية من علوية وعباسية ، فتقضي باتهام ابنائها ، والطعن فيهم لتشويههم والتنقص منهم .

وكان امية بن ابي الصلت من اشد قومه اذىً للاسلام ، في زمن النبوة ، فقد حالف قريشاً وحرّضهم بشعره على المسلمين ، ورثى قتلاهم في موقعة بدر :

ماذا ببدرٍ والمَفَنقلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ

ولم يقف عمله عند هذا الحد بل طمع في النبوة يريدها لنفسه ، وينكرها

على الرسول ، فكان يقول قبل موته : انا اعلم ان الحنيفية حقّ ولكن الشك يداخلني في محمد[1]

فاجتماع هذه البيئات لبني ثقيف ، لا جرم ، يثير الحفيظة في صدور المسلمين الاول ، ولا سيما الهاشميين ، ويجعل للروايات والاحاديث مجالا يختلط فيه الصحيح بالموضوع . فقد روى الزُهري حديثاً للنبي يقول فيه : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفاً ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الانصار .»[2] وزعموا ان قسيّ بن مُنبّه جد الثقفيين الاعلى هو من بقية ثمود ، وانه كان عبداً لرجل يقال له ابو رِغال او كان ابو رِغال والده . وقالوا ايضاً ان ابا رِغالٍ كان ملكاً بالطائف يظلم رعيته ، فاغتصب يوماً عنزة لامرأة تُرضع ابنها اليتيم بلبنها ، فمات الطفل جوعاً . ورمى الله ابا رغال بقارعة الطريق فاهلكه ، فرجمت قبره العرب . وهناك رواية ، كما قدّمنا ، تجعل ابا رغال دليل صاحب الفيل الى مكة ، وقد رجم قبره لذلك ، وهذا أحدث زمناً من الاول فلا يصح ان يكون الجد الأعلى لثقيف .

فالروايات ، كما يتبيّن ، مخالفة الوجوه ترمي في اكثرها الى التنقص من الثقفيين وتشويه نسبهم ، بادية النقمة عليهم ، لا تهدي الباحث الى نتيجة يمكن الاطمئنان اليها . ويرى الأب لامنس ان العلويين والعباسيين وضعوها على الثقفيين كرهاً بزياد وعبيد الله والحجاج وسواهم من اهل الطائف الذين حازبوا الامويين ونصبوا للسياسة الهاشمية . وهو ، الى ذلك ، يزعم ان قبر ابي رغال حرَم معبود أزرى به الاسلام ، ولم يكن رجمه في الجاهلية للتحقير بل للتعظيم شأن رمي الحجار في منى ، وشأن لحودهم تحمل فوقها الحجارة قبل ان يعرفوا بناء القبور . ولكن اذا عدنا الى شعر امية بن ابي الصلت ، نجده في مجموعته يفتخر بان قومه هم الذين قتلوا العبد ابا رغالٍ :

وهم قتلوا الـبي أبا رغـالٍ بنخلةَ حين إذ وَسَق الوطينا[3]

---

١) الاغاني : ٤ – ١٣١

٢) الاغاني ٤ – ٣٠٧

٣) الوطين : حزام الراحلة : يقال : وسق الوطين ، كناية عن الجمل للغزو .

وواضحٌ انه يشير هنا الى دليل ابرعة لينفي التهمة عن قبيلته ، ويخرج هذا الرجل الرجيم منها . وهو في تلك القصيدة كما في غيرها ، يرفع نسب ثقيف الى إياد لا الى مضر ، وكلتاهما نزارية عدنانية .

دين امية

يتفق الرواة على ان امية لبس المسوح تحنثاً ، واعتزل عبادة الاوثان ، وآمن بالآله الواحد ، منتحلاً دين الحنيفة ، وفي ذلك يقول :

كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عند — الله ، إلّا دينَ الحنيفة ، زُور

والمفهوم من الكتب العربية القديمة ان الحنيفية هي ملّة ابراهيم ، على بساطة التوحيد قبل نزول الشرائع ، اي انها ليست اليهودية ولا المسيحية . غير ان المستشرقين الذين عُنوا بتقصّي آثار هذه الجماعة أثبتوا انها فرقة متنصرة دخلت عليها عقائد غريبة عن النصرانية . وكذلك الاب لويس شيخو دلَّ على مسيحيتها بشواهد من الشعر الجاهلي ، وبما جاء في التواريخ الركينة كسيرة ابن هشام عن تنصر بعض المتحنفين امثال ورقة بن نوفل ابن عم خديجة زوج الرسول [1] .

والظاهر ان مكة كانت آهلة بطائفة من هؤلاء المتحنثين من قريش . ويزعم الرواة ان عبد المطّلب اول من أدخل الحنيفية الى مكة ، فكان اذا اهلَّ رمضان ، صعد الى جبل حِراء يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش الى رؤوس الجبال . وهذه عادة مسيحية تنبّه لها المستشرق كليمان هيوار في كتابه « تاريخ العرب » .

ويعلم من يطّلع على اخبار مكة والطائف ما بين البلدين من علاقات اقتصادية ودينية ، ومصاهرات ومحالفات . فقد كانت تجارة مكة رائجة في سوق الطائف ، وفواكه الطائف تحمل الى مكة وتباع فيها . والموسرون من قريش يتخذون الطائف مصيفاً لهم ، ويملكون فيها البيوت والمزارع . وهم يعظمون اللات ربّة ثقيف ، كما يعظّم الثقفيون انصاب الكعبة واصنامها .

---

١) الاب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١١٨ — ١١٩

وأفضت العلاقات بينهم الى ان يتصاهروا ويتحالفوا . فرأى القرشيون من بني ثقيف اعواناً لهم على المسلمين . فكان من الطبيعي ان تدخل الحنيفية الى الطائف ، فينتحلها قومٌ من ثقيف اسوة بانسبائهم وحلفائهم ، ويكونُ لأمية ابن أبي الصلت بعض منتحليها ، وهو شاعر على شيْ من العلم شأن كثير من ابناء الطائف ومكة ، قرأ الكتب الدينية ، واطلع على ما خلص اليه من العقائد اليهودية المسيحية . وكان يختلف الى مكة متصلًا بالقرشيين ، وامه قرشية من عبد شمس ، فغير عجيب ان يتأثر بتحنثهم فيسلك طريقتهم في التحنث ولبس المسوح . وقد يصحب تجارهم الى سورية ، فيزور معهم الاديار والكنائس ، ويخالط الرهبان فيأخذ عنهم ، مما يدل على ما في نفسه من نزوع عن الشرك ، وميل الى التنصر وعبادة الله وحده . وقيل انه حرَّم الخمرة على نفسه ، مع انهم يروون انه شربها قبل موته ، فاذا صحَّ هذا التحريم ، فيمكن حمله على محمل الزهد وترك الملذات ، او هو من العناصر الغريبة التي حضنتها الحنيفية المتنصرة . وفي شعر امية بينات واضحة على نصرانيته لا يصح معها ان تعتبر الحنيفية مقصورة على ملة ابراهيم قبل نزول الشرائع ، وان تكن مسيحيتها غير خالصة من شوائب البدع التي تفشَّت في جوانب جزيرة العرب ، تمازجها العقائد اليهودية تمازجة قوية ، كنصرانية الاحباش ، وكان منهم في مكة طائفة كبيرة ، تجار وعبيد . فهي ، على ذلك ، شديدة التعلق بالكتاب المقدس في عهده القديم ، تكثر من الالتفات اليه ، والتحدث عنه . ولا تخلو من اثر التقاليد التلمودية ، يظهرها شعر امية في وصف السماء والملائكة ، وسوق الهالكين الى النار وهم ينادون بالويل والثبور :

وسيق المجرمون ، وهم عراةٌ ، الى ذات المقامع والنكالِ
فنادوا : ويلنا وبلًا طويلًا ! وعجُّوا في سلاسلها الطوالِ

وله عدة قصائد مستوحاة من التوراة والتقاليد العبرية في الكلام على الخليقة ، والطوفان ، وخراب سدوم ، وطاعة ابراهيم لربه ، يوم عزم على التضحية باسحق حتى فداه الله بذبح عظيم :

بينا يخلعُ السرابيل عنهُ ، فكَّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ

ولكنه يخلط قصة الطوفان بعقائد عربية عن التوراة تزعم انه كان ينطق يومئذ كل شيء ، وان الديك كان نديماً للغراب ، فشربا مرة عند خمّار وليس معهما مال، فرهن الغراب الديك وذهب ليأتي بالثمن، فخان صاحبه ولم يرجع، فبقي الديك محبوساً :

بآبةِ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ ، وخان امانةَ الديكِ الغُرابُ

على ان الحنيفية لا تغفل العهد الجديد ، وان الحَت ، في تركيبها على القديم ، وامية في شعره يعطينا الشواهد على يهوديتها المتنصرة ، فنسمعه يذكر الحيوانات المحيطة بالعرش الالهي ، فاذا هو مردّد ما جاء في رؤيا يوحنا :

رجل وثور تحت رجل يمينه ، والنَّسر للأخرى، وليثٌ مُرصَدُ

وورد ذكر المسيح عنده مرارًا ، منها قوله في رجعته :

أيامَ يلقى نَصاراهُمْ مسيحَهُمُ ، والكائنينَ له وُدًّا وقُربانا

وقوله في انتصاره على المسيح الدجال :

إذِ المسيحُ بقتل المسيحا

ووى له الأب شيخو[1] قصيدة عن كتاب البدء للمقدسي تكلم فيها على ميلاد المخلص ، ويسميه عيسى بن مريم :

وفي دينكُمْ من ربِّ مريمَ آيةٌ مُنبِّئةٌ بالعبدِ عيسى بنِ مريمِ

ولا يخفى ان لفظة العبد تقال للمسيح مستنكرة عند النصارى . ولا تدل على مسيحية صافية. وكذلك اورد في القصيدة نفسها اخبارًا عن الطفل الالهي وامه العذراء لا تثبتها الاناجيل الصحاح ، فردها الاب شيخو الى الاناجيل المنحولة ، كقوله ان يسوع تكلم في المهد تبرئة لامه عندما عرف ذووها بانها حامل فاوسعوها لومًا :

وقالوا لها مَن حوَّلَكِ جئتِ مُنكَرًا ، فحقَّ بيانٌ تُلحَيْ عليه وتُرجَمي
فأدركها من ربِّها ثَمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مُكلَّمِ
فقال لها : إني من الله آيةٌ ، وعلَّمني ، والله خيرُ مُعلِّمِ

---

١) الاب شيخو : النصرانية واداجها بين عرب الجاهلية ١٨٧

وأرسلتُ ، لم أُرسَل غوياً، ولم أكن شقياً ، ولم أمشِ بفحشٍ ونائم

ويوسعنا ان نضيف هذه الابيات الى شاعر في الاسلام ، لانها تتفق وما جاء في القرآن عن ميلاد عيسى وتكلمه في المهد ، وفيها من الالفاظ والتعابير ما يُشعر انه مأخوذ من سورة مريم . هذا ، ونحن لا نستطيع ان نقبل شعر أمية جملة دون ان يساورنا الشك في بعضه ، فهناك قصائد تروى له ولغيره ، وقصائد عباسية اللغة ، قوية الروح الاسلامية . فمن المعقول ان يكون قد وضع عليه شعر ليس له يد فيه ، كما وضع على غيره من شعراء الجاهلية ، خصوصاً ان الرواة صرفوا معظم عنايتهم الى التحدث عن حياته الدينية ، جاعلين لها صلة ببعث الرسول العربي ؛ فلا يستغرب ان ينحلوه شعراً دينياً مستوحى من القرآن ، كما نحلوه قصيدة في مدح النبي ، ضعيفة التركيب ، بينة التوليد ، وزعموا انه اراد ان يسلم ، فمنعته قريش ، شأنها مع الاعشى ، وذكّرته قتلى بدر ، وفيهم عُتبة وشَيبة ابنا خاله ربيعة بن عبد شمس ، فترك الاسلام ، وجدع انف ناقته ، وشق ثوبه وبكى ، ورثاهم بقصيدته المشهورة .

على ان امية مع تعبده وتنسكه واطمئنانه الى دين الحنيفة ، لم يلبث ان غلب عليه جوّ زمانه ، فجعله مثلما حمل غيره من معاصريه الكهان على الطمع في النبوة ، إلّا ان سعيه خاب ، وعادت صفقته خاسرة .

نبوءة

يتوقف الباحث في تاريخ الجاهلية ما يلقى من اتعاب عشرات الكهان والعرافين ، وما يقرأ عنهم من الاساطير والخرافات ، حتى ليجد من نفسه رغبة ملحة في اجتلاء هذه الظاهرة الروحانية خلال المادية الغالبة ، في عصر يعد ابناءه للانتقال من الشرك الى التوحيد . ومعظم هؤلاء الكهان يسكنون المدن والقرى المعمورة حيث ترتكز العقائد الدينية ، بخلاف ما هي عند البدو المترحلين . وكان العرب يعتقدون ان لكل كاهن رئيًا من الجن يسترق له احداث المستقبل من كلام الملائكة ، فيلقيها في اذنه ؛ وجاء في القرآن ما يُشعر بتصديق هذه العقيدة فانتقلت الى المسلمين ، وهي تشبه ما تقول به

الكنيسة من ان الارواح الشريرة بوسعها ان تقف على شيء من المستقبل فتوحي به الى بعض الاشخاص .

والبلاد الشرقية هي اخصب الاقطار لظهور الكهانة وانتشارها ، ذلك بانها موطن الانبياء ومهد الاديان ، فطبيعي ان يصبح في ابنائها تشوّف الى الرجم بالغيب ، واستطلاع خبايا المستقبل . وطبيعي ايضاً ان يكثر الكهان في جزيرة العرب ، او على اطرافها ، وهي محاطة بشعوب عرفت عندها الكهانة منذ العصور القديمة كالبابليين والكلدانيين والمصريين وسواهم . اضف الى ذلك ما في الجزيرة من اليهود والنصارى ، وما كان لهم من يد في نشر الكهانة ، وتوجيه الانظار الى النبوّة . فالتواريخ الاسلامية القديمة تكثر من التحدث بنبوات رهبان النصارى واحبار اليهود عن البعث المنتظر . وكان يرجعون بذلك الى كتب عندهم ، عرف منها في القرن الاول للهجرة كتب دانيال وكتب الملاحم وسواها . فاليهود ينتظرون مجيء المسيح المخلص ، ويبثون هذه الفكرة فيمن جاورهم من العرب . والمسيحيون يقولون برجعته قبل الدينونة . وهؤلاء واولئك هم اهل الكتاب ، عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم . فلا بدع ان يكون لاقوالهم تأثير في نفوس العرب الذين خالطوهم في الشام والعراق والحجاز واليمن ، فيكثر الكهان بينهم ، ويقوم فيهم من يطلب النبوة ، كما اثرت من بعد في العصور الاسلامية فاوجدت فكرة المهدي الذي يأتي ليطهر الارض ويملأها عدلاً بعد ما ملئت جوراً وفساداً . يدل على ذلك انه ما كاد محمد يظهر رسالته ويدعو العرب الى ترك الاوثان وعبادة الاله الواحد ، حتى قام عدة اشخاص يدّعون النبوة طمعاً فيها او حسداً كمسيلمة الكذاب باليمامة ، والاسود العنسي في صنعاء ، وسجاح بنت الحارث التميمية بين النبرين ، وهذه تنبأت بعد موت الرسول . وظهر قبل بعثه رجل من بني عبس يقال له صفوان بن خالد كان على منهج الملة الحنيفية ، فدعا الناس الى التوحيد ، فآمن بعض العرب بنبوته ، قيل ان ابنته جاءت الى محمد ، فسمته يقرأ : قل هو الله احد . فقالت : قد كان ابي يقرأ هذا .

فالشعب العربي مضطرب بين الشرك والتوحيد ، تتشى في وثنيته عقائد

مسيحية مبتدعة وغير مبتدعة ، وعقائد يهودية خالصة او غير خالصة ، فيأخذها كلها أخذاً قريباً يختلط بعضه بعض ، فاذا هو حائر متردد في عبادته ، يذكر الله ويريق الدم على الانصاب ، ويجعل اللات والعزى ومناة ، الفرانيق العلى ، بنات الله الشفيعات . ويستسلم الى القدر واحكامه فيقع في الدهرية لفموض مصير النفس عليه . ويلجأ الى الكهان والعرافين مستكشفاً عندهم عن اسرار الغيب . وكأن امية بن ابي الصلت قد عبّر عن نفسية هذا الشعب بقوله :

الا نبيٌّ لنا منّا فيُخبرَنا ما بعدَ غايتنا من رأسِ مَحيانا

ولعله كان يفكر وقتئذ في نفسه فتمنى بعث نبي من العرب يخرجهم من حيرتهم ، ويطلعهم على مصير النفس بعد الحياة . وقد يكون هذا البيت مصنوعاً لان سائر شعره ، على ما فيه من ذكر الانبياء ، لا ينطق بتشوفه الى النبوة. فلربما وضعه الرواة ليدلوا به على حاجة الناس في ذلك الزمن الى رسول يهديهم ، ثم ليؤيدوا ما تناقلوا عن امية من اخبار تنبئه . فهم ينكرون عليه النبوة اصلاً ، ولكنهم يضيفون اليه الخوارق ، ويعدّونه في طبقة الكهان الذين لهم رئيٌّ من الجن يوحي اليهم . ويتنبأ كأكثرهم عن البعثة ، ويشارك في التبشير بها ، راجياً ان تكون له لا لغيره . وقد عني الزهريّ بنقل هذه الاخبار عنه ، وهو من الائمة الذين اشتغلوا بتدوين الحديث في خلافة عمر بن عبد العزيز . روى ان امية كان له رئيٌّ من الجن يتبعه ويوحي اليه . فخرج مرة في سفر ، فرُفعت له كنيسة ، فانتهى اليها ، فاذا شيخ جالس ، فقال لامية حين رآه : انك لمتبرع ، فمن اين يأتيك رئيك ؟ قال : من شقي الايسر . قال : فأي الثياب أحب اليك ان يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال: كدت تكون نبيّ العرب ولست به . هذا خاطر من الجن وليس بملك . وان نبي العرب صاحب هذا الامر يأتيه من شقه الايمن ، واحب الثياب ان يلقاه فيها البياض .

وروى ايضاً ان امية اتى ابا بكر فقال : يا ابا بكر نمي الخبر . فهل احسست شيئاً ؟ قال : لا والله . قال : وجدته يخرج العام .

ويحدثنا صاحب الاغاني عن الحرمي ان امية علم ببعثة الرسول من راهب

في الشام . وكان فيها ومعه جماعة من العرب ومن قريش . فمر بكنيسة فدخلها ثم خرج ومضى . ثم عاد اليها ثانية وخرج منها بأسوإ حال . فسأله ابو سفيان بن حرب عن امره . فقال : ان هاهنا راهباً عالماً أخبرني انه بعد عيسى ، عليه السلام ، ست رجفات؛ وانا اطمع في النبوة واخاف ان تخطئني. فلما رجعت ثانياً قال لي : قد كانت الرجفة ، وقد بُعث نبي من العرب . فينست من النبوة ، فاصابني ما رأيت اذ فاتني ما كنت اطمع فيه .

وهكذا كان امية كلما مر بكنيسة يعلمه راهبها ان النبوة لغيره ، فيبوء بالخيبة واليأس . ومع ذلك نجد من الرواة محاولة جميلة لاعطائه اياها يتولى تقديمها اليه ملكان بصورة الطير ، فلا يقبلها منهما لانه ليس هو المعدّ لها . اخبرنا الزهري ان امية دخل يوماً على اخته ، وهي تهيئ أدماً لها . فادركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . واذا بجانب من السقف قد انشق ، وطائرين قد وقع احدهما على صدره ، ووقف الآخر مكانه . فشق الواقع صدره ، فاخرج قلبه فشقه . فقال الطائر الآخر : اوعى ؟ (اي أحفظ ما ما القي اليه ؟) قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . فرد عليه قلبه. ثم عاود التجربة الجراحية مرتين أخريين . وفي كل مرة يعي ولا يقبل ، ويتبعها طرفه ويقول :

لبّيكما لبّيكما ها انذا لديكما !

فلما يئسا من قبوله بعد ثلاث تركاه ، وانطبق السقف ، وجلس امية يمسح صدره ، ويشكو حرّاً فيه . وهذه القصة فيما شبه بما يرويه ابن اسحق من ان ملكين بصورة رجلين بثياب بيض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً جاءا النبي محمداً وهو غلام ، فشقا بطنه ، واستخرجا قلبه ، فشقاه وطرحا منه علقة سوداء ، ثم غسلاه بالثلج حتى انقياه .

ويضيفون الى امية من الحوارق ما يُضاف الى سليمان، وهو معرفته بلسان الحيوان والطير ، فيذكرون انه كان ذات يوم جالساً مع قوم ، فمرت بهم غنم ، فنفت شاة ، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : انها قالت لسخلتها : مرّي لا يجئ الذئب فيأكلك كما اكل اختك عام

اول في هذا الموضع . فقام بعضهم الى الراعي فقال له : اخبرني عن هذه الشاة التي نفت ، أها سخلة ؟ قال : نعم ، هذه سخلتها . قال : اكانت لها عام اول سخلة ؟ قال : نعم ، واكلها الذئب في هذا الموضع .

وروروا انه بينما كان يشرب مع اخوان له في قصر غيلان بالطائف ، اذ سقط غراب على شرفة ، فنعب نعبة ، فزجره أمية . فقال اصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول انك اذا شربت الكأس التي بيدك مت . ثم نعب الغراب نعبة اخرى ، فعاد امية الى زجره . فسأله اصحابه عن الخبر ، فقال: زعم انه يقع على المزبلة ، اسفل القصر ، فيستثير عظماً فيشجى به فيموت . ثم وقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظم ، فشجي به فمات . فانكسر أمية ، ووضع الكأس من يده ، وتغير لونه . فقال له اصحابه : ما اكثر ما سمعنا بهذا وكان باطلاً . وما زالوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال الى جنبه واغمي عليه . ثم افاق فقال : لا بري. فاعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، واسلم الروح.

وكأن الرواة ارادوا بهذا الهتاف الأليم، يخرجه الشاعر في ساعته الاخيرة، ان يظهروه بمظهر النادم الخائف ، معترفاً بذنبه وضعفه بعدما طمع في النبوة ، وقاوم لاجلها الاسلام . فقوله هذا بمثابة تكذيب لادعائه ما ليس له .

على ان هناك رواية اخرى تقول انه مرض قبل موته ، فجعل يقول : قد دنا اجلي ، وهذه المرضة منيتي ، وانا اعلم ان الحنيفية حق ، ولكن الشك يداخلني في محمد . ثم اخذ يستغفر ربه فيقول : لا بري. فاعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، وينشد اشعاراً في ذلك منها قوله :

ان تغفر اللهمّ تغفر جماً وأيّ عبد لك لا ألمّا

الى ان قضى نحبه وهو على اشد ما يكون من الخوف والندامة .

مراجع البحث

ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٣ – ٤ – ٨

الجاحظ : الحيوان ٢ – ٤ – ٧

ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب

ابن قتيبة : الشعر والشعراء

ابن سلام : طبقات الشعراء

البحتري : الحماسة

ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ – ٣

ياقوت : معجم البلدان

ابن هشام : السيرة النبوية

البغدادي : خزانة الادب ١

الاب لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

» » » : شعراء النصرانية

فان فلوتن : السيادة العربية (ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم – مصر)

H. Lammens : *L'Islam*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1941.

H. Lammens : *L'Arabie Occidentale avant l'Hégire*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1928.

H. Lammens : *Études sur le siècle des Omayyades*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1930.

G. Contenau *La Divination chez les Assyriens et les Babyloniens*. Payot. Paris, 1940.

A. Cohen : *Le Talmud*. Payot, Paris, 1933.

Cl. Huart : *Histoire des Arabes*. Geuthner. Paris, 1912.